ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

قراءة للسيرة طه حسين الذاتية
الأيام – أنموذجا-

أ. دليلة زروق
جامعة الجزائر 2

ملخص:

نسعى من خلال مقالتنا إلى إبراز الميثاق السيري عند طه حسين من خلال مؤلفه الأيام الذي يعد النص الأدبي الأول وهو يؤسس في مضامينه النصية لمفهوم السيرة الذاتية واشكاليتها وقضاياها ،فقد كان إلمامه بالثقافة الغربية ولا سيما الثقافة الفرنسية عاملا مساعدا على تأليف النص .وعليه ارتأينا طرح التساؤل التالي: هل نصنف كتاب الأيام رواية سيرية يغلب عليها التخيل أم أنها سيرة ذاتية أم هي مجرد اعترافات كتبها طه حسين عن نفسه عبر مسار التجربة وعبر تفاصيل تتعلق بتراجم شخصيته.

لنستخلص في الأخير أن مؤلف الأيام يندرج ضمن مفهوم السيرة الذاتية لأن طه حسين تطرق إلى حياته الفردية وتاريخها ،ولا يمكن اعتبارها رواية لأن عنصر التخيل يكاد ينعدم في النص .

طابق طه حسين بين الراوي والشخصية الرئيسة معتمدا **القص الارتدادي** و لم يترك مسافة كبيرة بينه وبين القارئ وذلك من خلال كثرة الأخبار والحوادث لديه، أما فيما يخص **الأنا** عنده فنجدها متشظية من خلال تنويعه في استعمالها فنجده يستعمل تارة "الأنا" وتارة أخرى "الفتى" وأحيانا" هو" أما فيما يخص **البتر السيري** فيكاد ينعدم عنده ما عدا بعض الإسقاطات التي تعمد إغفالها لتسريع وتيرة السرد.

Résumé:

L’objectif de cet article est de montrer « Le pacte autobiographique » chez Taha Hussein dans son livre «Les Jours », ce livre représente le premier texte littéraire qui fait partie du concept de l’autobiographie, ses problématiques et ses propos, la maitrise de la culture occidentale notamment la culture française a joué un grand rôle dans la rédaction de ce texte, alors la question qui se pose: ou pouvons-nous classifier ce texte, est ce que le livre « les jours » est un roman autobiographique dans lequel domine la fiction, ou c’est

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

un livre autobiographique ou des simples déclarations sur son personne.

Pour dire à la fin que le livre « les jours » fait partie du concept de l'autobiographie, parce que Taha Hussein a abordé sa vie personnelle, il ne peut être considéré comme roman à cause de l'absence du facteur de la fiction.

Taha Hussein a conformé entre le narrateur et le personnage principal en utilisant « **Le récit répétitif** » et il n'a pas laissé un grand espace entre lui et le lecteur à travers la multitude des informations et des évènements, en ce qui concerne l'utilisation du « le moi », on retrouve que Taha Hussein utilise des fois « le moi », d'autres fois « l'enfant » et quelques fois « il », alors que la notion de « l'ignorance autobiographique » n'existe pas chez lui sauf dans quelques cas en vue d'accélérer la narration.

مقدمة:

ظهر كتاب **الأيام لطه حسين** في الأدب العربي الحديث أشبه بأثر اعترافات روسو في الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر. إذ وضع حجر الزاوية لجنس أدبي جديد.

إن المشهد الذي يمكن رسمه عن مؤلف الأيام لطه حسين قوامه نصوص أدبية عديدة ومتنوعة وما يفرق بينها لا يقل عما يجمع بينها .إنها فسيفساء من النصوص السردية تحكي حياة مؤلفيها وتحتاج إلى التصنيف و التحديد والتعريف .([1])

نسعى من خلال مقالتنا إلى إبراز **الميثاق السيري Pacte autobiographique** عند طه حسين من خلال مؤلفه الأيام الذي يعد النص الأدبي الأول المتمثل لمفهوم السيرة الذاتية وإشكاليتها وقضاياها ،فقد كان إلمامه بالثقافة الغربية ولا سيما الثقافة الفرنسية عاملا مساعدا على تأليف النص، وعليه ارتأينا طرح التساؤل التالي: هل نصنف كتاب الأيام رواية سيرية **Roman autobiographique** يغلب عليها عنصر التخيل أم أنها سيرة ذاتية **Autobiographie** أم هي مجرد اعترافات **Confessions** كتبها طه حسين عن نفسه؟

1-تقديم المحتوى العام للكتاب:

يعد كتاب الأيام لطه حسين شكلا مميزا من سيرته ، كشف عن ماضي **الأنا** ليستقر منها ما يقاوم به تحديات الحاضر ،هذه الأنا التي لا طالما حلمت

[1] -ينظر :محمد البادري :عندما تتكلم الذات في السيرة الذاتية ،منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق،2005 ص 4.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

بمستقبل واعد تخلو من عقبات الماضي في علاقة وطيدة بين ماض مستعاد وحاضر حدد اتجاه فعل استعادة وعي كتابة ترتسم داخلها معاني الذات باحثة عن كينونتها من خلال التوازن بين الماضي و الحاضر.فالإبداع الاصيل في الأيام ينطوي على معنى الأمثولة الذاتية التي تتحول الى مثال حي لقدرة الإنسان على صنع المعجزة التي تحرره من قيود الضرورة والتخلف والجهل والظلم بحثا عن أفق واعد من الحرية والتقدم والعدل والعلم.

انطلاقا مما سبق سنتطرق بالدراسة لكتاب **الأيام** و بالضبط سنركز على الجزء الثاني /الطبعة السابعة عشرة التي نشرت في 1939 في دار المعارف بمصر .جاءت كلمة الأيام للكاتب طه حسين معرفة بالألف واللام وهذا يدل على أنه قضى أياما معدودة في الأزهر أين حاول نقل تجربته الخاصة في شكل كتاب سنحاول اكتشاف الجانب الأجناسي له.

يتحدث المضمون العام للكتاب على حياة **طه حسين** وهو يغادر الريف ثم ينتقل إلى وصف حياته في الأزهر وتمرده المستمر على شيوخها كالحاج **"فيروز"** الذي كانت له لكنة في الكلام والشيخ **"بخيث"** الذي يطيل في تقديم درسه إلى حد الملل، وكذا وصفه لمعاناته وحيرته وهو بالصف الثالث وكيفية سماعه للدروس كدرس الصبح والظهر ،كما بالغ في وصف انزعاجه داخل غرفته ومشقته أثناء طلب العلم ،فرغم كل الظروف التي عانى منها طه حسين إلا أنه حظي برعاية خاصة من طرف أخيه إلى غاية التحاقه بالجامعة الأهلية.

تطرق طه حسين إلى عدة مواضيع منها :موضوع الخوف الذي كان يتعرض له بالليل وهو في الأزهر والمعاناة والقسوة التي كان يعانيها عند تعلمه، كما أنه بالغ في وصف الأزهر وذكر أهمية العلم في جلب الطمأنينة وكيفية سماعه الدروس من الأساتذة ووصف التنافس على الأكل الذي كان سائدا بين رفقائه.

2- الجانب الأجناسي للكتاب:

سنحاول اكتشاف الجانب الأجناسي Genre littéraire لمؤلف الأيام من خلال التطرق إلي **الميثاق السير ذاتي** للخطاب وهو مصطلح ابتدعه **"فيليب لوجون "** Philipe Lejeune في 1975 ، و هو "إقرار المؤلف إقرارا صريحا لا لبس فيه بأن ما كتبه هو صورة مطابقة لحياته ،وبأنه هو راوي القصة التي أنشاها وهو الشخصية الرئيسية فيها وبناء على هذا الإقرار يدعو المؤلف قارئه إلى التعامل مع النص على أنه سيرة ذاتية"([1])

[1] -مجموعة من المؤلفين: معجم السرديات ، إشراف :محمد القاضي ،الرابطة الدولية للناشرين المستقبليين، ط 1 2010 ،ص 446.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

انطلاقا من هذا يمكن أن نصنف مؤلف الأيام على أنه سيرة ذاتية لأنه يعبر عن أشياء حقيقية من حياة الكاتب ،فعند تصفحنا لصفحات الكتاب نجد أن هناك مطابقة تامة بين الذات والشخصية فـــ"هناك سير خلفت أصحابها مثل(أيام) طه حسين التي دخلها عبرها قاعة الخلود الأدبي ([1])فالسيرة الذاتية هي "أبرز أشكال كتابة الأنا وأمتنها صلة بفن السرد."([2])

إضافة إلى ما قلناه سابقا نجد أن كلمة العنوان **الأيام** توحي بأنها سيرة ذاتية ،فهي تروي أحداثا شخصية وتنأى عن سرد الأحداث العامة ،فالسيرة الذاتية أعرق من اليوميات الخاصة لأنها ترتبط بفترة محدودة من حياة الكاتب منذ دخوله الأزهر إلى غاية تخرجه منه،وهي تتصل بالماضي القريب،وقد سلكت سيرته اتجاها زمنيا واحدا ينطلق من الحاضر إلى الماضي.

3-الإحالة المرجعية لدى طه حسين :

تتعرض الإحالة المرجعية في سيرة طه حسين إلى ضرب من التشويش والاضطراب فلا سلاح لكاتب السيرة الذاتية سوى ذاكرته والذاكرة معرضة لآفة النسيان وهو غربال لا يمر من ثقوبه إلا ما هو جوهري ،فيمكن إبراز الركائز التي قامت عليها سيرة طه حسين من خلال ما يلي :

شكل الكلام: سرد لنشاط سيري يضطلع به طه حسين وهو يروي حكايته ويصوغ الخطاب الناقل له، وهو ما سماه **جيرارد جونات** فعل السرد معتبرا في ذاته .ويميز هذا المنظر بين فعل الكتابة الذي ينشئه الكاتب وهو فعل حقيقي من فعل السرد الذي ينجزه الراوي وهو فعل متخيل . ([3])

الموضوع المتطرق إليه: الحياة الفردية وتاريخ الشخصية

منزلة المؤلف: التطابق بين المؤلف والراوي (إلا أنه لا يوجد هناك تطابقا صريحا بين المؤلف طه حسين والأنا الفتى وإنما هو إيحائي ،فالمؤلف ترك مسافة سردية بين السارد والشخصية،إلا أنه رغم ذلك نستنتج أن المسافة قريبة جدا بين السارد والراوي وعنصر التخيل يكاد ينعدم بين الصبي وموضوع السرد بواسطة ضمير الغائب ،وهو يعفي السارد من كل هذه القيود ويمنحه مزيدا من الحرية ،فيستطيع في الحالة هذه أن يصور المواقف من خلال إحساس الصبي ويعلق عليها من وجهة نظره وأن يترك الصبي أحيانا كثيرة أو يهمله ليتحدث عن البيئة كما يحلو له.

موقع الراوي : يتطابق الراوي مع الشخصية الرئيسية ويعتمد طه حسين على **القص الارتدادي Récit répétitif :** وهو رواية الأحداث أكثر من مرة

---

[1] -مجلة علامات :رئيس التحرير عبد المحسن فراج القحطاني ،هيئة التحرير :حسن النعمي ،سمحي ماجد الهاجري فاطمة الياس قاسم ، العدد : 56-66 ، ص 18.

[2] -مجموعة من المؤلفين :معجم السرديات، ص 206.

[3] -ينظر :المرجع نفسه ،ص 243

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

واحدة .فنجد تكرار الحدث في الخطاب أكثر من تكراره في الحكاية .وغالبا ما يرد هذا النوع من القص في رؤية للأحداث متعددة صالحة للكشف عن مختلف النفسيات والوضعيات.([1]) ،كان طه حسين يسرد الأحداث ويكررها على مستوى الخطاب وذلك بسبب آفة العمى لديه ،فقد ضاع بصره نتيجة اصابته بالرمد ،مما دفعه الى الاسترسال والإطناب في الكلام وهذا ما شكل لديه ثراء أسلوبيا والغوص في معاني الذات.

تحديد الجملة البدئية :تبدأ منذ انطلاقه الى الأزهر واضطرابه وهو فتى في الطريق ويتضح ذلك في قوله" فأما الطور الثاني من أطواره فقد كان اضطرابه في الطريق بين هذه البيئة وبين الأزهر([2])

تحديد الجملة الختمية: أنهى طه حسين كتاباته بجملة ختمية عندما قال" كان مقدم الصيف يملا صدره حبورا وبشرا من خلال هذه العبارة تبدأ فترة الاجازة عند الفتى وبالتالي تنتهي معاناته وتبدأ فترة الراحة" ([3])

4-النشاط السيري عند طه حسين:

يحكي الكاتب سيرته في أكثر من وجه ،فقد استعمل المؤلف طه حسين في مرحلة متأخرة من عمره ضمير الأنا للحديث عن طفولته من خلال استرجاعه لذكريات مضت، وعليه تتسم كتابة السيرة بنزعة تاريخية ترتسم عليها الذاتية،لأن المواد التي يستعملها المؤرخ منفصلة عن الذات الكاتبة في حين نجد أن ذكرياته مغرقة في الأنا.([4])

ولذا ارتسمت السيرة عند طه حسين عبر رؤية فيها ما يمكن أن يكون التأسيس للذكريات واليوميات في زخمها الزمني المحدد حيث يشخص كل اللقطات وكل الومضات عبر تسلسل نصي يحكي عن حياة الشخص ويحيل القارئ على الجديد لديه في منحى الحياة و هو يسعى كي يرسم بنزعته الذاتية حكاية من شخوص ومعلومات وتجارب وحكايات ترتبط به يكون قد لبس تفاصيلها في كل مرة يريد الحكي عن نفسه...

طه حسين يوثق عبر مرجعية معلوماتية وتاريخية لزاد له في الحياة ويبقى مستمرا في استثمار كل معلومة وتجربة كي تواكب سياق السيرة برمتها ....طه حسين يلبس لباسا ذاتيا وهو يحيلنا على شخصيته وعن حياته وعن تجاربه ويكون قد استنطق كل الفواصل كي يكون هكذا البطل بلا منازع يواكب حراك الحياة عبر تجربة تغلب عليها الذاتية والنرجسية ....

---

[1] - ينظر :المرجع نفسه،ص324

[2] -طه حسين: الايام ،دار المعارف، مصر، ط17 ،ج2، ص8.

[3] -مجموعة من المؤلفين :معجم السرديات ، ص134.

[4] -ينظر: المرجع نفسه ، ص 134 .

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

كما أنه يسعى إلى توثيق حياته الماضية وإخراجها من النسيان فهو يريد أن يثبت وجوده من خلال توثيق حياته الماضية بعد فناء الجسد وعودته إلى الماضي البعيد أين تعترضه أمواج الحاضر المتلاطمة في حين يظل قادرا على ترتيب أفكاره في مواجهة للحاضر. مواكبا سيرته من منظار شخصي يتحدث عن نفسه وعن الآخرين من باب يلازم نقل المعلومة وتوثيقها ،هو يسعى كي يكون واضحا موغلا في الذاتية، فالفرصة مواتية كي يجذر حياته ويشخصها للآخر من منظار يواكب التجربة وفواصل الحياة ،يؤكد ارتباطه بتلك المقومات التي تلتصق بالشخصية، والتي تصنع الهالة والحكاية الذاتية عبر تنوع فكري فيه كل الاضافات....

ومادامت السيرة تنبني على الشخصية الأحادية عادة فقد راهن طه حسين على أن يكون ضمن هذا التوجه بطلا يحكي عن تفاصيله ويختزل كل ذلك الحكي الذي تتميز به الرواية من خلال تميزها بعناصر ثلاث هي الكاتب والراوي والبطل..هو هنا يشكل فقط جزءا من ثلاثة هو البطل الأوحد يسعى كي يواكب ارهاصا له في الحياة...موغلا في الذاتية ،ولا يريد لقصته وتفاصيله وتراجمه أن تصبح رواية بل سيرة يحكيها بدون خيال كما يتحدث في الرواية . انشغل طه حسين بذاته بحكاياته بتجاربه في سياق الأنا التي تلازم كل تفاصيل الحياة وكل المحطات التي سبق ون عايشها في حياته تحيلنا عليه وعلى تجربته...

5- المسافة السردية عند طه حسين:

يمكن تحديد المسافة السردية بمدى حضور الراوي "فإذا كان حضوره قويا والمسافة بين المروي والمتلقي طويلة كان الاعتقاد في المحاكاة ضعيفا ،وإذا كثرت الأخبار كانت المسافة قريبة وكان الإيهام بالمحاكاة قويا ،وتقترب المسافة حينما نقص الأحداث قصا مفصلا إلى درجة يتوهم معها المتلقي انه أمام مشهد أو عرض مسرحي وحين تذكر جزئيات غير ضرورية لنمو الحكاية ولا وظيفة لها غير الإيهام بالمحاكاة كاختيار مدينة واقعية مرجعية مسرحا لبعض الأحداث أو حينما تنقل الأقوال والأفكار ،أما في **الخطاب المباشرDiscours direct** أو **الخطاب المؤسلب Discours Stylisé** الذي يعتبره جونيت **Genette** (1972) أعلى درجات محاكاة خطاب الشخصية ، وكثرة الأخبار دليل على أن المسافة السردية قريبة .

من خلال ما ذكرناه نستنتج أن الإيهام بالمحاكاة كان قويا عند طه حسين لأنه قص لنا حياته قصا مفصلا وعنصر التخيل يكاد ينعدم ، وعليه المسافة السردية عنده قريبة جدا، فالمؤلف يقر إقرارا صريحا لا لبس فيه بأن ما كتبه هو صورة مطابقة لحياته وبأنه هو راوي القصة التي أنشاها ،وهو الشخصية

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الرئيسية فيها وبناء على هذا الإقرار يدعو المؤلف قارئه إلى التعامل مع النص على أنه سيرة ذاتية([1])

6-البتر السيري عند طه حسين:

عند قراءتنا للأيام اتضح أن هناك بتر في سرد أحداث الماضي عند طه حسين وربما يرجع إلى خلل في الذاكرة أو إلى تشويش لدى الكاتب وهذا ما يسمى **بالبتر السيري** ويتضح ذلك بقوله "وإنما تسمع فيها أحاديث يتهامس بها أصحابها" ([2]) في هذا الاستشهاد لم يذكر طه حسين نوع الأحاديث التي كان يسمعها واكتفى بالإشارة إليها فقط والغرض من ذلك هو تسريع وتيرة سرد الأحداث. كما ذكر طه حسين أسماء شيوخه كـــ**"عبد الحكيم والمقرر"** ولم يصفها كثيرا بخلاف أننا نجده قد بالغ في وصف عمي **الحاج** وتوسع فيه وهذا يرجع إلى مكانته ومنزلته عند طه حسين.([3]) ومن جانب آخر يتضح البتر السيري في قوله" ذهب هؤلاء الشبان فاستخرج مقدارا من الفحم " ([4]) ذكر طه حسين الشبان دون تحديد هويتهم والغرض من ذلك تسريع وتيرة السرد([5])

7- وظيفة الأنا في النص:

الأنا في نص **طه حسين** ترسم مسافة كبيرة جدا لأنه استعمل كلمة الفتى ولم يستعمل الأنا المباشرة واستبدلها بالأنا القناع والهدف من ذلك هو ترك مسافة سردية بينه وبين القارئ و كسر الرتابة التي تبعث الملل وتشويق القارئ من خلال التنوع في استخدامها .

جاءت الأنا متشظية في النص من خلال المزاوجة بين كلمة الفتى تارة وأحيانا الصبي وأحيانا أخرى هو. أدى تنوعها في النص إلى الغوص في معاني الذات و إعطاء المؤلف سمة خاصة مميزة جعلت منه عملا فريدا وثريا في مسيرة الفكر الأدبي.

8- أهم المؤلفات التي تناولت السيرة الذاتية :

لقد كان كتاب الأيام كتابا اشكاليا ولكن النصوص التي ظهرت بعده في مصر او في البلدان العربية الأخرى لم تحسم في الاشكاليات الفنية التي يطرحها هذا الجنس الأدبي الناشئ .وسيظل في حالة التكون باحثا عن مقوماته الفنية التي يمكن أن تضع الحدود بينه وبين الأجناس السردية الاخرى.

---

[1] -ينظر: مجموعة من المؤلفين ،معجم السرديات ، ص 390 .

[2] -طه حسين :الأيام ،دار المعارف ،مصر،ط 17 ،ج 2 ،1939 ، ص 18 .

[3] -ينظر: المصدر نفسه ، ص 45.

[4] -المصدر نفسه، ص 63.

[5] -المصدر نفسه، ص 30.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

لذلك نجد الكثير من المؤلفات التي عالجت الميثاق السيري حسب فيليب لوجون PHILPPE LEJEUNEفي اشكال مختلفة في شكل : (مذكرات – سير ذاتية-روايات سيرية –اعترافات....نذكر منها :

كتاب الايام لطه حسين وقد صدر جزءه الاول في 1929 وكتاب انا لعباس محمود العقاد الذي ظهر في 1964 وقصة حياة لإبراهيم عبد القادر المازني في 1934، وحياتي لأحمد أمين في 1950 وسبعون لميخائيل نعيمة 1959-1960 وثلاثية حنا مينة وهي: بقايا صور في 1975-المستنقع في 1977-القطاف في 1994، ورجع الصدى لعروسي المطوي في1991 وأوراقي حياتي لنوال السعداوي في 2000-2001 وذكريات الأدب والحب لسهيل ادريس 2002 ومجرد ذكريات لرفعت سعيد في 1989 وسيرة حياتي لعبد الرحمان بدوي في 2000 وخارج المكان لادوارد سعيد عام 2000 ورحلة جبلية صعبة لفدوى طوقان عام 1989 وتربية عبد القادر الجنابي عام 1995 وسنفونية العذاب لمصطفى فاسي 2013 في.....

خاتمة :

نستخلص في الأخير أن مؤلف الأيام يندرج ضمن مفهوم السيرة الذاتية لأن طه حسين تطرق إلى حياته الفردية وتاريخها ،ولا يمكن اعتبارها رواية لغياب عنصر التخيل فهو يكاد ينعدم في النص اضافة الى تفاصيل ترسم مسار حياته الخاصة عبر طغيان الذاتية ،فترسم النزعة الفردية تحيلنا عن سيرة خاصة لا يمكن لها أن تلبس اللباس الروائي الذي نراه يحيلنا على عامل التخيل الذي يتميز به النص الروائي المتفاعل.

لقد طابق طه حسين بين الراوي والشخصية الرئيسة معتمدا القص الارتدادي و لم يترك مسافة كبيرة بينه وبين القارئ وذلك من خلال كثرة الأخبار والحوادث لديه، أما فيما يخص **الأنا** عنده فنجدها متشظية من خلال تنويعه في استعمالها فنجده يستعمل تارة "الأنا" وتارة أخرى "الفتى" وأحيانا " هو" ، أما فيما يخص **البتر السيري** فيكاد ينعدم عنده ما عدا بعض الإسقاطات التي تعمد إغفالها لتسريع وتيرة السرد وتوثيق محطات نصية ذاتية لها ،هذا البعد الذي تعامل به الكاتب طه حسين كي يسرد سيرته بهذا المعنى النصي الضارب في عمق الذاتية التي تنحى الى سرد حوادث وشخوص ضمن معالم الذات.